مأثورات الصحابة في تفسير الطوسي (دراسة تحليلية)

الاستاذ المساعد

محمد محمود محمد باقر

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية / قسم علوم القرآن

mohammed.alzobedy@gmail.com

المقدم

الحمد لله الذي جعلنا أمة وسطا، وجعل القرآن تبياناً لكل شيء، والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واصحابه الغر المحجلين. نحن نجزم أنه لم يتحقق لأي كتاب على هذه الأرض ما تحقق للقرآن الكريم من دراسات مستفيضة وتفسيرات وتحليلات واسعة، بحيث كان جل همها دراسة النص القرآني الكريم والوقوف على مراد الله تعالى من آياته البينات، ولذا نجد المسلمين وغيرهم قد اقبلوا عليه مفسرين ومتدبرين ومستنبطين بحسب كل عصر من العصور التي مر بها القرآن الكريم، فقد كان للمأثور دورُ بارزُ في نقل التراث الإسلامي إلى الاجيال القادمة، وهذا التراث قد تمثل بأقوال الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) و أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة والتابعين (رضي الله عنهم)، فكانت هذه الاقوال مفسرة وموضحة للقرآن الكريم. وعليه لا بدّ لمن يريد دراسة التفسير بالمأثور والاستفادة منه ان يقرئ بحذر وتأمل ووعي، حتى لا يقع في فخ التجهيل والتضليل، بوصف ان هذا النوع قد مرّ بمراحل متعددة كلها قد اثرت عليه من حيث المصداقية والثبوت. وفي بدايات القرن الخامس الهجري شهد ولادة تفسير جامع بين المأثور والعقل – اي فيه نزعة أثرية وعقلية معاً – قد حوى تفسير جميع سور القرآن الكريم، لواحد من أكبر علماء عصره وزعيم مذهب الإمامية الشيخ الطوسي (رحمه الله) الذي تبنى مبدأ الوسطية في تفسيره، اذ من خلاله استطاع تطوير المعالم بالمنهج التفسيري في تفسيره التبيان فجمع بين الاقوال المأثورة عن أهل البيت والصحابة والتابعين، فهي المنطلق الأول لدى الامامية بهذا العمل الكبير. ان أمنيتي كانت دراسة هذا التفسير دراسة واسعة لما فيه من أهمية بالغة بالتراث القرآني التفسيري الإسلامي، وارتباط ذلك بتفسير كلام الله تعالى، فكان اختياري للموضوع (مأثورات الصحابة في تفسير الطوسي (دراسة تحليلية)) هو جزء بسيط من تحقيق ما كنت اتمناهُ. ان سبب اختياري لهذا الموضوع استخلاص الصورة النقية والواضحة قدر الامكان عن مأثورات الصحابة في تفسير التبيان للطوسي (رحمه الله) رائد التقريب بين المذاهب الإسلامية، والوقوف على هذه الأقوال، ولماذا اخذ بها وهل كان متساهلاً فيها ام جعل لها شروطاً وقواعداً، وما الاليات التي استند إليها بقول الصحابي؟ وهل خالف الذين سبقوه؟ وما الذي اعتمدهُ بترجيح الروايات، كل هذه التسائلات وغيرها كانت تدور في خاطري، فبعد الدراسة والتحقيق وجدنا اجوبة شاملة لهذا المنهج الجديد لدى الشيخ الطوسي (رحمه الله) . اما عن منهج البحث فقد استعمل الباحث المنهج التاريخي لدراسة حياة المؤلف بوصفها جزءاً اساسياً من الموضوع ولما لها من اهمية بالغة، ومن ثم استعمل المنهج الاستقرائي التحليلي الموضوعي لأغلب النصوص القرآنية واقوال الصحابة التفسيرية الواردة في تفسير الطوسي. اما عن خطة البحث فقد اقتضى المنهج العلمي ان تشتمل على تمهيد وثلاثة مباحث، تعقبها خاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وقد جاء التمهيد بعنوان (حياة أبو جعفر الطوسي) وفيه فقرات كثيرة.

اما المبحث الأول : فجاء بعنوان (التفسير بالمأثور وحجية قول الصحابي) وفيه فقرات منها: مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ومدرسة أهل السنة والجماعة.اما المبحث الثاني : فجاء بعنوان (اليات الأخذ بقول الصحابي عند الطوسي) وفيه فقرات منها : حركة التجديد، وتبني حجية أخبار الآحاد، و أليات الاخذ بقول الصحابي.اما البحث الثالث : فجاء بعنوان (نماذج تطبيقية تحليلية لأقوال الصحابة في تفسير التبيان) وفيه خمسة من النماذج، الاول لعبدالله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وأبو سعيد الخدري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس (رضي الله عنهم اجمعين). وفي كل هذه المباحث فقرات قد وقف عليها الباحث ودرسها دراسة وافيه. ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج. واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك انت الوهاب.

التمهيد حياة أبو جعفر الطوسي

أولاً : مولده ونسبه:

ولد الشيخ " محمد بن الحسن بن علي أبو جعفر الطوسي "[١] في مدينة طوس[٢]، والمعروف بشيخ الطائفة والشهير بالطوسي، في شهر رمضان سنة (٣٨٥هـ)[٣]، ولم أجد عند من ترجم له خلاف في ذلك، وعند مراجعتي لكتب التراجم والانساب لم أجد من كتب عن الفترة الزمنية التي عاشها في طوس ولا عن حياته الخاصة والعامة بل حتى على يد من درس، من اساتذته من العلماء بطوس.

ثانياً : الهجرة إلى بغداد.

هاجر الشيخ الطوسي (رحمه الله) إلى بغداد سنة (٤٠٨هـ) وهو أبن ثلاثة وعشرين عاماً، و أقام فيها أربعين عاماً[٤]، وما أن حط الرحال ببغداد عاصمة العلم في ذلك الزمان حتى أنضم إلى مدارس المعرفة لمختلف المذاهب الاسلامية، لينهل منها العلم والمعرفة، فكانت نقطة التحول الأولى في مسيرته عندما تعرف على أستاذه الكبير الشيخ المفيد تـ٤١٣هـ (رحمه الله) الذي تتلمذ عليه واستفاد منه كثيراً، وكان

الشيخ المفيد من اكابر علماء الأمامية ورئيسهم[٥]، ثم لازم بعد وفاة الشيخ المفيد (رحمه الله)، علم الهدى السيد المرتضى تـ٤٣٦هـ بعد ان انتقلت المرجعية ورياسة الإمامية اليه.فلازم الحضور تحت منبره، وبالغ في توجيهه، فأكرمه السيد المرتضى (رحمه الله) " وعين له في كل شهر اثنتي عشر ديناراً، وبقي ملازماً له طيلة ثلاث وعشرين سنة، إلى أن توفى المرتضى فاستقل المترجم (الشيخ الطوسي) بالإمامة والرياسة، وكانت داره في مأوى الناس، ومقصد الوفاد، يأتونها لحل المشاكل وايضاح المسائل، وقد تقاطر اليه العلماء والفضلاء للتتلمذ عليه والحضور تحت منبره وقصدوه من كل بلد ومكان"[٦]، ثم أعطى له " كرسي الكلام والإفادة، وقد كان لهذا الكرسي يومذاك عظمة وقدر فوق الوصف، إذ لم يسمحوا به الا لمن برز في علومه، وتفوق على أقرانه، ولم يكن في بغداد يومذاك من يفوقه قدراً أو فضل عليه علما فكان هو المتعين لذلك الشرف"[٧].ولم يزل الشيخ الطوسي (رحمه الله) إمام عصره، حتى وصل السلاجقة إلى بغداد واستحلوا الحرمات وحدثت الفتن، واحرقوا مكتبة الشيعة بالكرخ (بين السورين) وهي " اسم لمحلّة كبيرة كانت بكرخ بغداد، وكانت من أحسن محالّها وأعمرها، وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها الوزير أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة بن عضد الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها، فقد كانت كلها بخطوط الأئمة المعتبرة وأصولهم المحررة "[٨]، ثم اتسعت الفتنة حتى وصلت إلى مكتبة الشيخ الطوسي (رحمه الله) الخاصة بل تجاوزت ذلك وصولاً إلى احراق كرسي الكلام الذي كان يجلس عليه للكلام، مما ادى إلى اضطرار الشيخ للهجرة إلى النجف الاشرف سنة (٤٤٩هـ)[٩].

ثالثاً : الهجرة إلى النجف.

وبعد وصول الشيخ الطوسي (رحمه الله) إلى النجف سنة (٤٤٩هـ) نزل بجوار قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إذ تم بناء مركزٍ للعلم والمعرفة ومن ثم أصبحت جامعة كبرى تروي العلماء، " تلك هي جامعة النجف العظمى التي شيد المترجم (الشيخ الطوسي) ركنها الأساس ووضع حجرها الأول، وقد تخرج منها خلال هذه القرون المتطاولة آلاف مؤلفة من أساطين الدين وأعاظم الفقهاء، وكبار الفلاسفة، ونوابغ المتكلمين، وأفاضل المفسرين واجلاء اللغويين، وغيرهم ممن خبروا العلوم الإسلامية "[١٠]. وبانتقال الشيخ من بغداد إلى النجف الاشرف انتقلت معه المرجعية العامة فكان مرجعاً للشيعة بلا منافس، وكان مستمراً بالتأليف والتدريس لمدة احد عشرة سنة إذ اخرج أمهات كتبه و تأليفه. " ويظهر نشاط الشيخ الطوسي في التعليم ... من كتابه الموسوم بـ" الأمالي" وهي الدروس التي كان يمليها على طلابه، ويظهر من مقدمات تلك الدروس أن معظمها ألقيت في مشهد الغري أو النجف... وإن انتقال الطوسي إلى مشهد علي (عليه السلام) وقيامه بالتدريس هناك لهما أثر كبير في تنظيم الدراسة وتقدمها عند الإمامية "[١١]، فقد كان (رحمه الله) ذا مقام علمي كبير، وكل من جاء من بعده من العلماء والمفسرين الاماميين على مدار قرن من الزمان كانوا مقلدين لهُ في كل آرائه لا يُتخطى رأيه أو قوله حتى كاد أن ينسد باب الاجتهاد عند الشيعة، وبعد هذه المسيرة الحافلة بما فيها من تدريس وتأليف و معارف اسلامية.توفى شيخ الطائفة الطوسي (رحمه الله) في ليلة الأثنين الثاني والعشرين من محرم سنة (٤٦٠هـ) عن خمسة وسبعين سنة[١٢]،(دفن في داره بوصية منه) بقرب من قبر امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بالنجف الاشرف.

رابعاً : آثاره

كان الطوسي (رحمه الله) من أقدم مؤلفي الامامية، بعد أن أحرقت مكتبة الشيعة وما فيها من مصادر للعلماء الذين سبقوا الطوسي بالتأليف، فقد ألف في موضوعات شتى، في الحديث والفقه والتفسير والعقائد والأصول والادعية والتراجم والفقه المقارن وغيرها وأكثرها مطبوعة أو مخطوطة، وقد ذكر اكثرها في كتابه (الفهرست)، بحيث بلغ تعداد ما توصل له الباحثون من كتبه (٤٧) كتاب، ولضيق الوقت سوف اذكر المشهور منها، ونسلط الضوء على اساس الدراسة هو (تفسير التبيان في تفسير القرآن) وليَ الف هذا التفسير وما فيه من اشياء أخرى.فقد ألف الشيخ بالتفسير فكان له ثلاثة آثار هي: التبيان في تفسير القرآن، و المسائل الرجبية في تفسير القرآن، والمسائل الدمشقية في تفسير القرآن. أما الأدعية فكان له اثنان من الاثار هي : مختصر المصباح في عمل السنة، ومصباح المتهجد في عمل السنة. أما علم الحديث فكان له ثلاثة آثار هي: الاستبصار فيما اختلف من الاخبار، وتهذيب الاحكام، والمجالس في الاخبار. وفي الفقه فكان له ثلاثة آثار هي : الايجاز في الفرائض، والمبسوط في الفقه، والنهاية في مجرد الفقه والفتاوي.أما علم الكلام فكان له فيه أربع كتب هي : رياض العقول، والمسائل في الفرق بين النبي والأمام، والكافي في الكلام، ومقدمة في علم الكلام. أما أصول الفقه فكان له كتاب العدة في أصول الفقه، اذ يعد لدى الإمامية من احسن المصادر في الاصول. وكان الشيخ قد كتب بالتراجم والسير فكانت له أربعة كتب هي:

الرجال، واختيار الرجال، وفهرست كتب الشيعة، ومقتل الحسين. اما العبادات فقد كتب الكثير عنها واهمها هي : الاقتصاد فيما يجب على العباد، والجمل والعقود في العبارات، تلخيص الشافي في الامامة، و الغيبة[١٣].

خامساً : اساتذة الطوسي (رحمه الله)

سوف نذكر أهم الشخصيات التي تأثر بها الطوسي (رحمه الله) ودرس عندها، عند وصوله إلى بغداد، فقد " درس الطوسي على يد مشايخ كُثر. وكثير منهم كانوا من علماء الجمهور. وقد ذكر عدداً منهم في كتبه ولا سيما "الفهرست" و "الرجال" و "الأمالي" ومن هنا نجد الذين ترجموا له وذكروا شيوخه، أشاروا إلى أن هذا الشيخ من (الخاصة) وهذا من (العامة)، ومرادهم بالأول من كان من الامامية وبالثاني من ينتمي إلى الجمهور، وكل هؤلاء الشيوخ تلقى عنهم في إبان اقامته بمدينة بغداد بعد رحلته اليها من مسقط رأسه طوس، أما قبل فلا نعرف عن شيوخه شيئاً، ولم يشر هو إلى أحد منهم "[١٤]، ومن هذه الشخصيات العلمية الكبيرة .

أولاً : هو " محمد بن محمد بن النعمان المفيد، يكنى أبا عبد الله، المعروف بأبن المعلم، من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدما في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيها متقدما فيه، حسن الخاطر...حاضر الجواب... ولد سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وتوفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثلاثة عشر وأربعمائة، وكان يوم وفاته يوم لم ير أعظم منه، من كثرة الناس للصلاة عليه و كثرة البكاء من المخالف والموافق "[١٥]. فكان الطوسي يتعلم عنده خمس سنين.

ثانياً : هو " علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كنيته أبو القاسم، لقبه علم الهدي الاجل المرتضى (رضي الله عنه)، متبحر في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم، توفي في شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وكان مولده في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة "[١٦]. فكان الطوسي يتعلم عنده ثلاث وعشرون سنة.

سادسا : تلاميذ الطوسي (رحمه الله).

عند رجوعي إلى كتب التاريخ والتراجم وجدتُ لدى الطوسي (رحمه الله) كثيراً من طلبة العلم وبالأخص من درس على يده بالنجف الأشرف أذ بلغ تعدادهم ثلاثين طالباً، ويُعدون من علماء النجف الاشرف في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والعقد الأول من القرن السادس، ولا يسع المجال أن نذكر تراجمهم جميعاً، إنما نكتفي بذكر أشهرهم بالرواية والتأليف، مع الاشارة إلى المصدر الذي ترجم له بالهامش[١٧]، ومن هذه الاسماء." الحسن بن الحسين بن بابويه القمي، ويدعى (حسكا) ويكنى بأبي محمد "[١٨]، و " أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوري، نزيل الري "[١٩]، و " الحسن بن مهدي السليقي، يكنى بأبي طالب، وينعت: بالعلوي، الحسني "[٢٠]، و " أبو الخير بركة بن محمد بن بركة الأسدي"[٢١]، و " أبو عبد الله محمد بن هبة الله الوراق الطربلسي، قرأ على الطوسي جميع مؤلفاته، ونال اجازته في رواية تفسيره التبيان "[٢٢].

سابعاً : تفسير (التبيان في تفسير القرآن).

تعد مؤلفات الشيخ الطوسي (رحمه الله) المنبع الأول لمعظم المؤلفين والعلماء الذين جاءوا من بعده، وذلك بعد ان أحرقت مكتبة سابور في الكرخ (المكتبة الشيعية) من قبل السلاجقة بعد دخولهم إلى بغداد. فكان للشيخ فضلٌ وحقٌ لا ينكر لقرون متعددة من الزمن لما جاء من نتائج كبيرة من المؤلفات التي غذى بها عقول العلماء والعامة من الناس، فقد أهتم بالدراسات القرآنية اهتماما واسعاً، وبالأخص علوم اللغة والآدب، بوصفها لغة القرآن واشتمال القرآن على آيات تضمنت القواعد العامة بالتشريع فكان تأليف تفسير (التبيان في تفسير القرآن) في فترة متأخرة عن سائر كتبه الأخرى، اذ هو " من اروع واغنى الكتب التفسيرية، ويعكس مدى الاهتمام البالغ من قبل الشيخ في الجانب القرآني، وهو بلا شك عمل علمي كبير؛ وسم الفقه الشيعي بالطابع القرآني "[٢٣]، فهو تفسير جامع لعلوم القرآن من اسباب النزول والقراءات والنحو والتفسير والتأويل وعلم الكلام والفقه اذ يأخذ طابع التفاسير الجامعة من حيث المأثور والرأي، فلم يترك شيئاً من الآيات الا ووقف عليها باحثا فيها مبيناً لها، وان هذا التفسير "حاز قصب السبق من بين التفاسير التي كانت دارجة لحد ذاك الوقت، والتي كانت أكثرها مختصرات، تعالج جانباً من التفسير دون جميع جوانبه، مما أوجب أن يكون هذا التفسير جامعاً لكل ما ذكره المفسرون من قبل، وحاوياً لجميع ما بحثه السابقون عليه "[٢٤].أما عن سبب تأليف هذا التفسير فقد جاء في مقدمة التفسير قول الطوسي قال: " فان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب اني لم أجد أحدا من أصحابنا – قديما وحديثا – من عمل كتابا يحتوي على تفسير جميع القران ، ويشتمل على فنون معانيه وإنما سلك جماعة منهم في جميع ما رواه ونقله وانتهى إليه في الكتب المروية في الحديث، ولم يتعرض أحد منهم لاستيفاء

ذلك، وتفسير ما يحتاج إليه. فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة، بين مطيل في جميع معانيه، واستيعاب ما قيل فيه من فنونه– كالطبري وغيره– وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه، ومعاني ألفاظه. وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا مالا معرفة لهم به "[٢٥].وهذا يدل على شمولية تفسير التبيان والقدرة العالية في بيان الآيات، وليس هذا فحسب وإنما تجاوز ذلك إلى الاعتدال بمذهب التشيع غير مغال فيه، " ولم نلمس عليه تعصباً ممقوتاً.... وأنه لم يكفر أحداً.... ولم يطعن بعدالة الصحابة بل كل ما لاحظناه عليه من تعصبه أنه يدافع بكل قوة عن أصول مذهبه وعقائد أصحابه "[٢٦]. وكان يروي ويأخذ عن أقوال ومرويات الصحابة و التابعين بتفسير الآيات، فذكر وجوه المفسّرين بكثرة، مثل ابن عباس وابن مسعود، وعبد الله بن عمر، وجابر الأنصاري، والخدري، وعائشة، وسلمان، وعمار، وأبيّ بن كعب، ومجاهد، والسدّي، والضحاك، والربيع بن أنس، والحسن البصري، وسعيد بن جبير ومقاتل بن سليمان، والشعبي، وسعيد بن المسيب، ....، وغيرهم، من هنا اكتسب قيمةً مضاعفة من الناحية الأثرية التي فيه. بعكس التفاسير التي سبقت تفسير التبيان عند الإمامية والتي كنت تنقل فقط قول أئمة أهل البيت.

المبحث الأول التفسير بالمأثور وحجية قول الصحابي

يعد هذا المنهج من المناهج الخطيرة، لما فيه من روايات ممكن اخضاعها إلى رفض أو قبول، لذا وجب التحرز منها أذ ليس كلها بدرجة واحدة من الحصانة، لذا نجد جهود العلماء قد اتجهت إلى بيان قبول وتضعيف جملة كبيرة من الروايات المأثورة في التفسير.

وان السبب الاساسي لقبول الرواية أو ردها يعود إلى اسباب كثيرة، منها الوضع والدس، مما ادى إلى أخذ الحيطة والحذر ازاء هذه الروايات من قبل العلماء في القرون الأولى والوقت الحاضر. أذن هنا سنعرف التفسير بالمأثور ليتبين لنا المراد منه، ومن ثم نناقش الأقوال حول قول الصحابي وموقف العلماء منه، قال الزرقاني : "هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه"[٢٧]، أمّا هادي معرفة فقد توسع بالتعريف فشمل حتى التابعين قال :" هو ما جاء في القرآن نفسه من بيان والتفصيل أولاً، ثم على ما نقل عن المعصوم: النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو الأئمة من عترته الطيبين(عليهم السلام) وبعده على المأثور من الصحابة الأخيار والتابعين لهم بإحسان (رضى الله عنهم) مما جاء بياناً وتوضيحاً لجوانب أبهمت من القرآن "[٢٨].اما مدرسة أهل البيت فكان تعريفهم مقتصر على المعصوم فقط وهو النبي وال البيت (عليهم السلام) قال الكفيشي : " هو تفسير القرآن الكريم بالسنة الشريفة قول المعصوم وفعله وتقريره سواء أكان لتوضيح بعض الكلمات المبهمة أو المجملة وشرحها "[٢٩]. واذا رجعنا إلى الذهبي نجد تعريف المأثور اوسع عنده قال: " ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول(صلى الله عليه وسلم) وما نقل عن الصحابة (رضى الله عنهم)، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى "[٣٠] . من خلال ما تقدم نجد ان هنالك تنوعاً واختلافاً بالأخذ بالمأثور ما بين المدارس الإسلامية الأولى تأخذ بقول الصحابي و التابعي أما الثانية فكانت مقتصرة على قول المعصوم فقط، ولكل مدرسة أسبابها، بوصفها من المسائل الخلافية بين المذاهب وحسب ما عندهم من دليل يبين صحة قولهم.

أ- مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

قال الطوسي : " اعلم أن الرواية ظاهرة في اخبار أصحابنا بأن تفسير القرآن لا يجوز إلا بالأثر الصحيح عن (النبي صلى الله عليه وآله)، وعن الأئمة (عليهم السلام)، الذين قولهم حجة كقول النبي (صلى الله عليه وآله)، وان القول فيه بالرأي لا يجوز "[٣١]، وهذا تصريح يبين حجية قول النبي وأهل البيت (عليهم السلام) بالتفسير وعدم الاخذ من غيرهم مستنداً إلى حديث الثقلين، ثم قال : " ومتى كان اللفظ مشتركا بين شيئين، أو ما زاد عليهما، ودل الدليل على أنه لا يجوزان يريد إلا وجها واحدا، جاز ان يقال: إنه هو المراد ومتى قسمنا هذه الاقسام، نكون قبلنا هذه الأخبار، ولم نردها على وجه يوحش نقلتها والمتمسكين بها، ولا منعنا بذلك من الكلام في تأويل الآي جملة ولا ينبغي لاحد ان ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلا، أو يقلد أحدا من المفسرين، إلا أن يكون التأويل مجمعا عليه، فيجب اتباعه لمكان الاجماع، لان من المفسرين من حمدت طرائقه، ومدحت مذاهبه، كابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد وغيرهم . ومنهم من ذمت مذاهبه، كأبي صالح، والسدي والكلبي وغيرهم " [٣٢]وهنا نجد الطوسي يضع قواعداً اذا وجدها المفسر فمن الممكن ان يأخذ بهذه الاقوال حتى لو صدرت عن الصحابة، فالغاية الاساسية لدى الطوسي الالتزام بالمنهج الصحيح والقواعد الاساسية التي جاء بها مما تمكنه القول بها. قال رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) " ان على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه " [٣٣]، وفي حديث اخر عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : " اذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله فخذوه والا فالذي جاءكم به اولى به " [٣٤]، اذن نجد هذه الضوابط من قبل الائمة لا نفسهم للتأكد من صحة هذه

الروايات.قال الشيخ السبحاني : " على أنَّ قول الصحابي ليس بحجّة ما لم يعلم استناده إلى الرسول، فكيف يكون فعله حجّة ؟ "[٣٥]، فهذا المحقق الحلي بعد ان يبين تعريف المتواتر وخبر الاحاد والمرسل نجده يقول فالمتواتر حجة، قال: " ثم السنة أما متواترة ، وهي ما حصل معها العلم القطعي باستحالة التواطؤ وخبر واحد: وهو ما لم يبلغ ذلك، مسندا كان وهو ما اتصل المخبرون به إلى المخبر، أو مرسلا، وهو ما لم يتصل سنده. فالمتواتر حجة لإفادته اليقين، وكذا ما أجمع على العمل به، وما أجمع الأصحاب على اطراحه فلا حجة فيه"[٣٦]، فبعد ان يكمل ما عرفه يأتي بالجواب على ما جاء بالدليل الذي تبين له قال: " وكل هذه الأقوال منحرفة عن السنن، والتوسط أصوب، فما قبله الأصحاب أو دلت القرائن على صحته عمل به، وما أعرض الأصحاب عنه أو شذ، يجب اطراحه"[٣٧]، فهنا نجد للمحقق الحلي (رحمه الله) شروطاً اذا وجدت اخذ بقول الصحابي. قال الطوسي: في كتابه (عدة الأصول)، فمذهب الجمهور من العامّة " على عدم جواز التّخصيص بها بناء على عدم حجّيّة قولهم، وهو مختار الشّافعي وأصحابه، ومذهب أعيان الحنفيّة كالكرخي، والسرخسي، والبزدوي وغيرهم، كما ذهب إليه الجويني، والآمدي، والغزالي، وابن الحاجب، والرازي، وآخرون. جواز التّخصيص بهما : وهو مذهب بعض أصحاب أبي حنيفة، وأيضا القاضي عبد الجبّار، وأبي الحسين البصري"[٣٨].اذن فموقف علماء الإمامية بالأخذ بقول الصحابي أو التابعي بالتفسير قد تبين بحسب ما ذكرنا من أقوال العلماء الذين لم يرتضوا بحجية قول الصحابي لأسباب كثيرة ليس محل ذكرها لاقتصار الوقت، والبعض الاخر ومنهم الشيخ الطوسي، جعلوا لها شروطاً وقواعداً، ومن هذه الشروط. اذا كانت الاقوال صحيحة ومطابقة لما جاء بالقرآن والسنة النبوية واقوال أهل البيت(عليهم السلام) وكذلك صحة سند الرواية، والا فلا مكانه عندهم بالأخذ بها لأسباب كثيرة قد مره بها التفسير بالمأثور منها الوضع والدس، والإسرائيليات، والاجتهاد، بل حتى العامل السياسي في تلك القرون. ولم ينفردوا بهذا الموقف وإنما شاركهم الكثير من علماء أهل السنة بعدم الاخذ والقول بحجية قول الصحابي، وهذ ما سوف نبينه لاحقاً.

ب- مدرسة أهل السنة والجماعة.

انقسمت المذاهب الأربعة على قسمين، فمنهم من ينفي الاحتجاج بقول الصحابي، والبعض من يثبته. ولكل واحدٍ منهم دليل، اذ استدل المثبتين للحجية على مجموعة من الاحاديث قالها رسول الله بحق الصحابة، فأولوها وتمسكوا بها منها: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي"[٣٩]، وقال: " خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم"[٤٠]، أما أدلة النافين لحجية الأخذ بقول الصحابي فقد رجعوا بالدليل إلى القرآن قال تعالى : **{ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ }**(النساء:٥٩) فالآية تقتضي رد المتنازع فيه إلى الله ورسوله لا إلى قول الصحابي، لأن الله تعالى حصر الرد فيهما[٤١]. وهنا نجد الذهبي يعترف بان مرويات الصحابة و التابعين قد اصابها الخلل والاختلاف قال: " وأما تفسير القرآن بما يروى عن الصحابة أو التابعين، فقد تسرب إليه الخلل، وتطرق إليه الضعف، إلى حد يفقدنا الثقة بكل ما روى من ذلك"[٤٢]، لذا قال الإمام أحمد بحق تفسير الكلبي عندما سؤل، قال: " وكتاب الكلبي في التفسير. من أوله إلى آخره كذب، قيل له: فيحل النظر فيه؟ قال. لا."[٤٣]، اذن حمل كثير من علماء الأمة كلام الإمام أحمد على أنه ما صح في التفسير قليل، والسبب لكثرة الروايات الضعيفة والمرسلة عن الصحابة والتابعين.

قال الشوكاني : " والحقّ أنّه ليس بحجّة ، فإنّ الله سبحانه لم يبعث إلى هذه الأُمّة إلاّ نبيّنا محمّد (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وليس لنا إلاّ رسول واحد وكتاب واحد، وجميع الأُمّة مأمورة باتّباع كتابه وسنّة نبيّه ولا فرق بين الصحابة ومن بعدهم في ذلك، فكلّهم مكلّفون بالتكاليف الشرعية، وباتّباع الكتاب والسنّة، فمن قال: إنّه تقوم الحجّة في دين الله عزّ وجلّ بعد كتاب الله تعالى وسنّة رسوله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وما يرجع إليهما، فقد قال في دين الله بما لا يثبت"[٤٤]، فالشوكاني هنا يشير إلى عدم القول بحجية قول الصحابي بوصفهم مخلوقين (بشر) يقع عندهم الصدق والكذب، وهم مكلفين بتباع الكتاب والسنة، وليس كلامهم الخاص بهم سنة. فبعد إخضاع الأدلة العلمية للنقاش والدراسة لكلا المدرستين نجد عدم الأخذ بأقوال الصحابة والتابعين، بوصفها حجة، لما وجدنا عندهم من ارتفاع معدل الاجتهاد الشخصي، وابتلاء أكثر الاسانيد التي تم الاعتماد عليها بمشاكل حقيقية والتي توسعت فيما بعد لتشمل معدل الخلافات التفسيرية، اذ تعدت واخذت طابع الروايات الاسرائيلية، ثم لم تكتفِ بهذا القدر وإنما شملت الروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) التي لوحظ فيها الوضع والدس ومخالفتها لما هو صحيح عندهم، مما اوجب على علماء ومفسري الأمة الإسلامية من التحرز واخذ الحيطة والحذر مما نقل بالمأثور عنهم وعن الصحابة وتدقيقها، وهذا ما فعله علماء التفسير والحديث فيما بعد، أذ صنفوا الروايات وبينوا الصحيح منها، ومن ثم عرضوها على القرآن والسنة وأقوال أهل البيت (عليم السلام)، لذا نجد الطوسي (رحمه الله) في التبيان فيما بعد اخذ بقول الصحابي والتابعي بالروايات الصحيحة المعتبرة تاركاً كل ما هو موضوع.

المبحث الثاني آليات الأخذ بقول الصحابي عند الطوسي

في بدايات القرن الخامس الهجري شهد ولادة تفسير كبير جامع لكل القرآن الكريم، مشتملاً لكل الفنون والمعاني والآداب، لرجلٍ كان من أكابر علماء عصره وهو الشيخ الطوسي، الذي استطاع ان يقدم منهجا جديداً متطوراً بالتفسير لذي تبناه في تبيانه جامعاً للعقل والنقل بأسلوب مغاير[٤٥]، فكان على الباحث في هذا المطلب ان يدرس الاتجاه الوسطي الذي ورثه عن أستاذيه المفيد والمرتضى (رحمهم الله)، وحركة التجديد التي جاء بها، وكيف تبني حجية أخبار الآحاد، وما هي الأليات التي استند إليها الشيخ الطوسي (رحمه الله) بقول الصحابي في تفسيره التبيان، وهل خالف الذين سبقوه من مفسري الشيعة الأوائل الذين اختصرت تفاسيرهم على نقل المأثور عن طريق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وما جاء عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى ماذا اعتمده بالترجيح.وبما ان الشيخ الطوسي (رحمه الله) فقيهاً ومفسراً ومجتهداً فقد استطاع ان يأتي بمنهج جديد وبخصائص تمثل طابع الشمول، وهي خصائص الاتجاه الوسطي الذي شهده القرن الخامس الهجري من خلال جهود الشيخ المفيد والمرتضى (رحمهم الله) بعد ان تبناه الشيخ الطوسي وطوره من عدة اتجاهات هي.

أولاً: تقنين عملية الاستنباط وتدوين القواعد الأصولية. " وكانت الأصول والقواعد العلمية المتبعة في مقام الاستنباط قد تبلورت بالتدرج من خلال عمليات الاستنباط الفقهي المستمر، حتى شهدت العقود الأولى من القرن الرابع الهجري انفصال الابحاث الأصولية عن علم الفقه المعهود"[٤٦]، بعدما كان شيئاً واحداً، لذا نجد الشيخ الطوسي (رحمه الله) قد اخرج كتاب مستقل وهو (عدة الأصول) الذي فاق الكتب الأصولية التي سبقته إذ يعد من الخطوات العلمية المهمة، فقد أفاض فيه القول في تنقيح مباني الفقه[٤٧].

ثانياً : تطبيق منهج الاستنباط الفقهي. لم يكتف الشيخ الطوسي (رحمه الله) " بتدوين القواعد الاصولية، وتوفير أدوات الاستنباط الأخرى اللازمة لتقنين عملية الاستنباط، وإنما سعى وبذل جهوداً كبيرة لتطبيق المنهج الاستنباطي على أسس علمية دقيقة، لأن توفير ادوات الاستنباط – وحدها – لا تكفي للاستنباط الفقهي، إنما لابد من التطبيق العملي لمنهج الاستنباط ايضاً "[٤٨]، وبهذا قد وفرَ الشيخ " للفقيه كل أدوات الممارسة الفقهية الاجتهادية نظرية وتطبيقاً، وهذه خطوة كبيرة وعملاقة في مجال الفقه الاجتهادي، خرج من خلالها الفقه الشيعي عن حدود استعراض السنة، ونقل الحديث إلى المجال الأوسع والأعمق "[٤٩]، وهذا ما عمل به في كتابة (تهذيب الاحكام).

ثالثاً : تبني حجية أخبار الآحاد . لو رجعنا إلى أستاذي الشيخ الطوسي وهم المفيد والمرتضى (رحمهم الله)، نجدهما قد أنكرا حجية أخبار الآحاد واتجها إلى الاجماع والعقل، ولعل معارضة الشيخ الطوسي لهما، تدل على مدى تعمق وطول باعه في علم الأصول. يقول المرتضى (رحمه الله) " ابطلنا في الشريعة العمل بأخبار الاحاد، لأنها لا توجب علماً ولا عملاً، واوجبنا ان يكون العمل تابعاً للعلم، لان خبر الواحد اذا كان عدلاً فغاية ما يقتضيه الظن لصدقه، ومن ظننت صدقه يجوز ان يكون كاذباً، وان ظننت به الصدق، فان الظن لا يمنع من التجويز"[٥٠] واذا رجعنا إلى كتاب (عدة الاصول) للطوسي، نجده قد ناقش الادلة التي جاءا بها ومن ثم بين موقفه من هذه الادلة، فقال بحجية خبر الاحاد، وانه لا يرفض خبر الواحد وإنما جعل له شروطاً للعمل به اذ قال: " انا لا نقول ان جميع اخبار الاحاد يجوز العمل بها بل لها شرائط"[٥١]، ومن ثم يبين هذه الشرائط للأخذ بخبر الواحد، قال: " أن خبر الواحد إذا كان واردا من طريق أصحابنا القائلين بالإمامة، وكان ذلك مرويا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو عن واحد من الأئمة (عليهم السلام)، وكان ممن لا يطعن في روايته، ويكون سديدا في نقله، ولم تكن هناك قرينة تدل على صحة ما تضمنه الخبر، لأنه إن كانت هناك قرينة تدل على صحة ذلك، كان الاعتبار بالقرينة، وكان ذلك موجبا للعلم ونحن نذكر القرائن فيما بعد جاز العمل به"[٥٢]، وبهذا يتبين لنا ان الشيخ الطوسي اخذ بخبر الواحد ولكن بشروط، واذا اردت التوسع في هذا الباب فعليك الرجوع إلى كتاب (عدة الاصول)، اذ طبق الطوسي الاخذ بحجية الخبر الواحد في تفسيره التبيان. " والذي عليه الإماميّة هو الاخذ بحجية خبر الواحد في الأحكام العملية فقط "[٥٣].

وهنا سوف نذكر مثالاً يوضح كيفية الرد أو الاخذ بخبر الواحد عند الطوسي قال تعالى : { **قَالَ يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**}(هود:٤٦) وقيل فيها ثلاثة اقوال " أحداها– قال ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك واكثر المفسرين: أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك،....والثاني– انه أراد بذلك أنه ليس من أهل دينك،.. وثالثها– قال الحسن ومجاهد: انه كان لغيره، وولد على فراشه، فسأل نوح على الظاهر فأعلمه الله باطن الامر..."[٥٤] فبعد ان يبين الطوسي (رحمه الله) اقوال الصحابة والتابعين بتفسير الآية نجده يفرق بين الرواية الصحيحة من حيث السند و رواية الاحاد، فاستهجن الشيخ الطوسي قول الحسن ومجاهد ورده باعتباره خبر احاد مخالف للشروط التي جاء بها قائلاً: " وهذا الوجه ضعيف، لان في ذلك طعناً على نبي وإضافة ما لا يليق به إليه. والمعتمد الاول"[٥٥]، أي قول ابن عباس بوصفه موافقاً للقرآن والسنة والعقل والاجماع، وهذا يؤكد التزام الطوسي بالشروط التي تقبل خبر الاحاد.

أليات الأخذ بقول الصحابي

عند قراءة تفسير التبيان للطوسي نجد أنه قد أكثر الأخذ بأقوال الصحابة والتابعين بالتفسير، وهذا ما جعلنا نتساءل عن الأسباب التي أدت إلى هذا العمل، إذ تخطى الشيخ الطوسي المألوف عند الإمامية، واذا رجعنا إلى التفسير بالمأثور نجد اغلب الروايات لا سند لها وفيها الدس والوضع، اذن هل كان هذا العمل اجتهادياً من غير دليل أم هنالك اليات أو شروط أو مقاييس متشددة للأخذ بقول الصحابي أو التابعي (رضى الله عنهم).والذي تبين لنا أن الشيخ الطوسي (رحمه الله) لم يترك الباب مفتوحاً، وإنما جعل له أليات وشروط يجب التمسك بها وهذا ما ذكرناه بحجية قول الصحابي، وتبني حجية أخبار الأحاد، إذ جعل لها شروطاً، وكان متشدداً بالأخذ بها. وهنا نكمل هذه الأليات لنبين مدى قبول رواية قول الصحابي أو التابعي عند الطوسي، وهل هذه الاقوال قبلها أم ردها؟.

أولاً : سند الرواية.

أهتم الشيخ الطوسي (رحمه الله) بسند الرواية التي ينقلها بالتبيان، اهتماما كبيراً حتى أنه قد صرح بذلك في مقدمة التبيان قال : " من المفسرين من حمدت طرائقه، ومدحت مذاهبه، كابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد وغيرهم . ومنهم من ذمت مذاهبه، كأبي صالح، والسدي والكلبي وغيرهم"(٥٦)، وهذا يدل على تبحر الطوسي بعلم الرجال، اذ الف كتاب (الرجال، و الفهرست) لذا نجده يرفض الروايات الضعيفة والمتعارضة وان كانت منقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) أو الصحابة والتابعين (رضى الله عنهم) وان مدحت أو ذمت مذاهبهم.مثال على ذلك، قال تعالى : **{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}**(الكوثر:٢)، وهنا يستعين الطوسي في شرح الآية بروايات متعددة عن الصحابة وأهل البيت. " قال ابن عباس وأنس بن مالك ومجاهد وعطاء: معنى وانحر انحر البدن متقربا إلى الله بنحرها خلافا لمن نحرها للأوثان. وقيل: معناه (فصل لربك) صلاة العيد وانحر البدن والأضاحي . وقيل : معناه صل لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك. (ثم يقول) وروي عن علي (عليه السلام) أن معناه ضع اليمنى على اليسرى حذاء النحر- (ثم قال) وهذه الرواية غير صحيحة-والمروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) أن معناه وانحر البدن والأضاحي"(٥٧).وهنا نجد الطوسي رافضاً للرواية التي ذكرها الإمام ويصفها بأنها غير صحيحة من حيث سندها وتخالف ما جاء عن روايات أهل البيت والصحابة في تفسيرها، أذن هنا كان ناقداً للرواية ولم يأخذ بها.

ثانياً : تمحيص وتدقيق الرواية.

اعتمد الشيخ الطوسي في تفسيره النقل والأثر، " إلا أنه لم يكن ممن يتقبل الرواية والحديث من دون تمحيص وتدقيق ومحاكمة وترجيح"(٥٨)، فكان لا يتساهل بالروايات الضعيفة أو ما فيها من اسرائيليات، اذ يردها اذا تنافت مع العقل والواقع والعقيدة، ومن الامثلة على تمحيص الرواية وتدقيقها، قال تعالى : **{ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ}**(ص:٣٤). فهنا نجد الطوسي يذكر روايات متعددة لتفسير أسم الجسد، وكيف كان لسليمان (عليه السلام) خاتماً تخدمه الجن والشياطين ما دام الخاتم في يده. قال " قال ابن عباس :القي شيطانا اسمه صخر على كرسيه. وقال مجاهد: كان اسمه أصف. وقال السدي: كان اسمه خنفيق وكان ملكه في خاتمه يخدمه الجن والشياطين ما دام في يده، فلما أذنب سليمان نزع الله منه الخاتم، وجعل مع الجني فاجتمعت عليه الجن والشياطين . وقيل: انه كان ذنبه انه وطئ في ليلة عدة كثيرة من جواريه حرصا على كثرة الولد. وقيل: كان ذنبه انه وطئ امرأته في الحيض"(٥٩) فبعد ان ذكر هذه الآراء وما فيها من تجني على عصمة الأنبياء نجده يرد عليها، قال : " والذي قاله المفسرون من أهل الحق ومن نزه الأنبياء عن القبائح ونزه الله تعالى عن مثل ذلك هو انه لا يجوز أن يمكن الله تعالى جنيا ليتمثل في صورة نبي لما في ذلك من الاستبعاد. وإن النبوة لا تكون في الخاتم وانه تعالى لا يسلب النبي نبوته، وليس في الآية شئ من ذلك، وإنما قال فيها انه ألقى على كرسيه جسدا"(٦٠). ثم يذكر في معنى (الجسد) أقوالاً متعددة قالوا بها ولم يُسمِ من القائل، وفي نهاية هذه الاقوال يعقب ويرد على كلامهم قال : " ومن قال من حيث إنه لم يستثن مشيئة الله في ذلك، فقوله فاسد، لأنه وإن لم يذكر مشيئة الله لفظا فلابد من تقديرها في المعنى وإلا لم يأمن أن يكون خبره كذبا، وذلك لا يجوز على الأنبياء عند من جوز الصغائر عليهم. قال الحسن وغيره لا يجوز على الأنبياء "(٦١). اذن كان رد مثل هذه الروايات دليلاً على ان الشيخ مدققاً لها اذ لم يأخذ بجميع الأقوال ألا اذا خلت عن تنافي القرآن والسنة والعقل ومستوفيه لشروط الصحة.

ثالثاً : ظاهر اللفظ. من الادوات التي استعملها الطوسي (رحمه الله) في ترجيح الروايات هي ظاهر اللفظ، واللفظ هو " صوت مشتمل على بعض الحروف وهو صريح وكناية وتعريض، فالصريح ما لا يحتمل غير المقصود"(٦٢)، أي ما وضع له في أصل اللغة، فكان يأخذ بما وافقه ويرفض ما خالفه، ففي تفسير قوله تعالى: **{ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا}**(البقرة:١٢٧)،يقول : " قال ابن عباس معناه يقولان : ربنا،.... وقال بعضهم : هو شاذ تقديره يقول : ربنا. يرده إلى إسماعيل وحده. ولا يعمل على ذلك لشذوذه. (ثم

يذكر الشيخ اراء المفسرين)، وقال أكثر المفسرين كالسدي وعبد بن عمير الليثي ، واختاره الجبائي، وغيرهم: إن إبراهيم وإسماعيل معا رفعا القواعد. وقال ابن عباس : كان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله. وقال بعض الشذاذ. أن إبراهيم وحده رفعها وكان إسماعيل صغيرا – وهو ضعيف لأنه خلاف ظاهر اللفظ وخلاف أقوال المفسرين. وقال أكثر أهل العلم أنهما رفعا البيت للعبادة لا للسكنى، وبدلالة قوله : (ربنا تقبل منا) "[٦٣]، فهنا يذكر جميع الآراء التفسيرية ويأخذ بها وبالأخص قول ابن عباس نافياً شذوذ احدى الروايات معلقا عليها بانها خلاف الظاهر اللفظ، ولم يتركها هكذا وإنما جاء بأجماع المفسرين مع ذكر القرينة التي دلت على صحة رواية ابن عباس وباقي المفسرين وهي قول الله تعالى (ربنا تقبل منا).

رابعاً :عموم اللفظ . أعتمد الشيخ الطوسي (رحمه الله) أداة للترجيح بين الروايات، وهي (عموم اللفظ)، فمثلاً نراه رجح قول مجاهد على قول جابر بن عبدالله، في بيان اسباب نزول الآية. قال تعالى:**{ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}**(ال عمران:١٩٩)، قال : " ختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، فقال جابر بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وابن جريج إن النبي (صلى الله عليه وآله) لما بلغه موت النجاشي، دعا له واستغفر له، وصلى عليه، وقال للمؤمنين: صلوا عليه ، فقالوا نصلي على رجل ليس بمسلم ؟ وقال قوم منافقون: نصلي على علج بنجران ؟ فنزلت هذه الآية، فالصفات لتي فيها صفات النجاشي، وقال ابن زيد وفي رواية عن ابن جريج وابن إسحاق إنها نزلت في جماعة من اليهود وكانوا أسلموا، منهم: عبد الله بن سلام، ومن معه. وقال مجاهد: إنها نزلت في كل من أسلم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى (قال الطوسي) وهو أولى، لأنه عموم الآية، ولا دليل يقطع به على ما قالوه على أنها لو نزلت في النجاشي أو من ذكر، لم يمنع ذلك من حملها على عمومها، في كل من أسلم من أهل الكتاب، لان الآية قد تنزل على سبب وتكون عامة في كل من تتناوله "[٦٤]، أذ انه لم يجز تخصيص العموم بخبر الواحد. اذن من خلال ما تقدم في هذا المبحث نجد الشيخ الطوسي قد أقدم على رفض التقليد بالمنهج التفسيري بالمأثور ، والأقدام على دراسة النصوص القرآنية والسنة النبوية الصادرة عن معصوم واقوال الصحابة والتابعين، دراسة مستفيضة للوصول إلى ما أراد الله تعالى.وهذا ما بيناه لدى الطوسي من الأخذ بقول الصحابي وتبني حجية أخبار الأحاد التي لم يكن معمولاً بها ما قبل الطوسي، كذلك تطوير المنهج الوسطي في استنباط وتدوين القواعد الأصولية، ومن ثم اليات الأخذ بقول الصحابي، كل هذه الاساليب لم تأتِ اعتباطاً من قبل الشيخ الطوسي (رحمه الله) وإنما عن مقدره وعلم كبير بالحديث والأصول والفقه وعلم الرجال، فجعل لكل واحدة منها شروطاً ومقاييساً لا يمكن الخروج عنها، فكانت الاليات تشكل جزءاً بسيطاً من بيان الاخذ بقول الصحابي لدى الشيخ الطوسي (رحمه الله).

المبحث الثالث نماذج تطبيقية تحليلية لأقوال الصحابة في تفسير التبيان

بعد دراسة تفسير التبيان وتتبع أقوال الصحابة والتابعين فيه نجد عقيدة الشيخ الطوسي (رحمه الله) بالصحابة معتدلة، أذ أنه لم يجرح أحداً منهم، وكأنه " أراد أن يشعرنا بوحده المسلمين. حينما ضم المأثور عن الأئمة إلى المأثور عن غيرهم من علماء الأمة "[٦٥]، فكان الشيخ يقف من هذه الاقوال موقف المختار الذي لا يقيده الا الاختيار العلمي المبني على قوة الدليل الصحيح في الاختيار. وهنا سوف نبين بعض النماذج من اقوال الصحابة بالتفسير التي ارتضاها الشيخ الطوسي في تفسيره تطبيقاً وعملاً، مقتصرين بمثال واحد لكل قول صحابي.

أولاً : قول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)[٦٦] أهتم الشيخ الطوسي بالقراءات في تفسيره التبيان، اهتماما بالغاً فكان يضع في بداية كل سورة عنواناً مستقلاً يسميه (القراءة)، وفي بعض الاحيان يحتاجها لتفسير آية من القرآن أو لتعزيز رأي مساند على صحة تفسيره، فهو غالباً ما يذكر القراءة والحجة للآيات عند تفسيرها. وفي هذا المثال نجد الشيخ قد اخذ بقراءة ابن مسعود التفسيرية باعتبار أنه أحد القراء المشهورين لدى الصحابة .وهنا الخطاب للمؤمنين قال تعالى : **{ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ }**(الجمعة:٩)، قال : " معناه إذا سمعتم، أذان يوم الجمعة فامضوا إلى الصلاة. قال قتادة: معناه امضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين وبه قال ابن زيد والضحاك. وقال الزجاج: المعنى فامضوا إلى السعي الذي هو الاسراع. قال (الطوسي) وقرأ ابن مسعود (فامضوا) إلى ذكر الله ثم قال: لو علمت الاسراع لا سرعت حتى يقع ردائي عن كتفي. قال : وكذلك كان يقرأ **{ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}** (النجم:٣٩) يريد مضى فيه دون الاسراع "[٦٧]، فبعد ان ذكر قول قتادة وابن زيد والضحاك والزجاج، يأتي ويأخذ بقول ابن مسعود بالقراءة التفسيرية بمعنى (فامضوا) ولم يكتفِ بهذا وانما جاء بآيات أخرى تساند ما ذكره ابن مسعود.

ثانياً : قول عبد الله بن عمر (رضي الله عنه)[٦٨]يعد الشيخ الطوسي شيخ الامامية على الاطلاق، ومن الفقهاء الاكابر لما لدية من علم غزير وقدرة عالية على بيان الاحكام الشرعية، اذ يسلك في تفسيره مسالك الفقهاء والمجتهدين، ولا يترك شيئاً إلا ووقف عليه مبيناً وموضحاً

ما اراد الله تعالى. فهنا نجد الشيخ قد اخذ بقول ابن عمر وقال هو الاقوى دلاله على قوت الدليل وما جاء به فقه الامامية بجواز تكفير الذنوب بشيء من أفعال الخير. قال تعالى : **{ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ }** (المائدة:٤٥)، قال : " الهاء في " كفارة له " يحتمل عودها إلى أحد أمرين: أحدهما – وهو الأقوى – ما قاله عبد الله بن عمر والحسن وقتادة وابن زيد وإبراهيم... إنها عائدة على المتصدق من المجروح أو ولي المقتول ، لأنه إذا تصدق بذلك على الجارح لوجه الله، كفر الله عنه بذلك عقوبة ما مضى من معاصيه. الثاني – على المتصدق عليه لأنه يقوم مقام أخذ الحق عنه ذهب إليه ابن عباس ومجاهد، (ثم يقول الطوسي) وإنما رجحنا الأول، لان العائد يجب أن يرجع إلى مذكور، وهو من تصدق، والمتصدق عليه لم يجر له ذكر، ومعنى " من تصدق " به عفا عن الحق واسقط. (ثم يقول) فان قيل : هل يكفر الذنب إلا التوبة أو اجتناب الكبيرة ؟ قلنا : على مذهبنا يجوز أن يكفر الذنب شيء من أفعال الخير، ويجوز أن يتفضل الله بأسقاط عقابها "[٦٩]. وقال الكعبري : والهاء في (له) للمتصدق[٧٠].

ثالثاً : أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه)[٧١]

عنى الشيخ الطوسي (رحمه الله) بأسباب النزول وبما " روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين عناية واضحة. فجعل لها باباً خاصاً سماه (النزول) وسماه في بعض المواضع (القصة) وجعل البحث في هذه الاركان الثلاثة عوناً له في الكشف عن معاني الآي، اذ إن النزول، كما لا يخفى قرينة على المعنى من الخارج"[٧٢]. وان سبب النزول قرينة على صحة ما نقل أو ضعفه لدى الشيخ الطوسي، وان الشيخ لا يجد بديلاً عنه لان العقل لا يدخل بالحوادث التاريخية[٧٣]، ومن هذه المرويات ما جاء بأسباب النزول، قوله تعالى :**{ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**(الروم: ٣٨) قال الطوسي: " خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال : (فآت ذا القربى حقه) اي اعط ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم في الأخماس–وهو قول مجاهد– وقيل: إنه لما نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليه وآله) اعطى فاطمة فدكا، وسلمه إليها – روى ذلك أبو سعيد الخدري وغيره – وهو المشهور عن أبي جعفر (الباقر)، وأبي عبد الله (الصادق) (عليهما السلام) . وقال السدى : الآية نزلت في قرابة النبي (صلى الله عليه وآله). وقال قوم: المراد به قرابة كل انسان. (ثم قال الطوسي) والأول أظهر، لأنه خطاب للنبي (صلى الله عليه وآله) " والمسكين وابن السبيل " تقديره واعط – أيضا – المسكين، وهو الفقير، وابن السبيل وهو المنقطع به حقوقهم التي جعلها الله لهم في الصدقات وغيرها، والخطاب وإن كان متوجها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فهو متوجه إلى جميع المكلفين"[٧٤]. فهنا رجح الشيخ الطوسي قول ابو سعيد الخدري قال وهو المشهور عند أهل البيت ثم قال والأول أظهر ولم يكتفِ الطوسي بهذا وإنما اسند رأي ابو سعيد الخدري بما جاء عن أهل البيت (عليهم السلام)، دلاله على صحة قول الصحابي في تفسير أسباب النزول.

رابعاً : عمار بن ياسر (رضي الله عنه)[٧٥]

ذكرنا سابقاً ان الشيخ الطوسي قد عنى بالفقه وتميزه فيه بحركة التجديد التي تبناها، وقد برز ذلك في تفسيره التبيان، اذ يسلك في تفسيره مسالك الفقهاء والمجتهدين المتمكنين من أراءهم الفقهية، وهنا نجد الشيخ يذكر جميع الآراء في مسألة واحدة (حكم التيمم)، ومن ثم يرجح الرأي الأصوب، ثم يدعمها بقوة الدليل على ما ذكر.ففي قوله تعالى : **{ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ }**(النساء:٤٣)، قال الطوسي : " قيل في صفة التيمم ثلاثة أقوال: أحدها – ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، ذهب إليه بن عمر، والحسن، والشعبي، والجبائي، وأكثر الفقهاء، وبه قال قوم من أصحابنا. الثاني – ضربة للوجه وضربة لليدين إلى الزندين، ذهب إليه عمار بن ياسر، ومكحول، واختاره الطبري[٧٦]، وهو مذهبنا إذا كان التيمم بدلا من الجنابة، وإن كان بدلا من الوضوء فيكفيه ضربة واحدة يمسح بها الوجه إلى طرف أنفه واليدين إلى الزندين. الثالث – قال أبو اليقظان، والزهري : انه إلى الإبطين، وقال قوم انه جائز أن يضرب بيديه على الرمل فيمسح بهما وجهه، وإن لم يعلق بهما شئ، وبه نقول. ويجوز للجنب أن يتيمم عندنا، وعند أكثر الفقهاء وأهل العلم . وبه قال عمار بن ياسر "[٧٧]. فبعد ان عرض الطوسي (رحمه الله) جميع الآراء، رجح قول الصحابي عمار بن ياسر (رضي الله عنه) بهذه المسألة قائلاً (وهو مذهبنا) ثم يأتي ويقول (واختاره الطبري) وعند مراجعتي لتفسير الطبري وجدناه مطابقاً اذ بيناه بالهامش، ثم يفصل الطوسي باقي المسألة ثم يقول (وبه قال عمار بن ياسر) وهذا يدل على قوة ترجيح الطوسي ومقدرة عمار في تفسير الآيات على الرغم من ان الطوسي لم يستعن به في تفسيره الا في اربع مواضع وقد ذكرنا ذلك بهامش (٧٣).

خامساً : عبد الله بن عباس (رضي الله عنه)[٧٨].

استفاد الشيخ الطوسي (رحمه الله) من الاخبار التي تروى عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في بيان العديد من معاني الآيات، عن طريق اقوالهم، فكان يضعف بعض الآراء ويرجح غيرها وبحسب ما تقتضي قوة الدليل، على صحة تفسير الآية. وفي هذا المثال نجد الطوسي يأخذ بقول ابن عباس في بيان (وادعوا شهداءكم) ويقول : (وقول ابن عباس أقوى)، تاركاً ما جاء عن مجاهد وابن جريح والفراء، في قوله تعالى : **{ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }**(البقرة:٢٣). " قال ابن عباس : أراد أعوانكم على ما أنتم عليه إن كنتم صادقين وقال الفراء: أراد ادعوا آلهتكم وقال مجاهد وابن جريح أراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم، وقول ابن عباس أقوى وقوله : " مثله " أراد به ما يقاربه في الفصاحة ونظمه وحسن ترصيفه وتأليفه ليعلم أنه إذا عجزوا عنه ولم يتمكنوا منه أنه من فعل الله تعالى جعله تصديقا لنبيه وليس المراد أن القرآن له مثل عند الله ولو لاه لم يصح التحدي لان ما قالوه: لا دليل عليه والاعجاز يصح وإن لم يكن له مثل أصلا بل ذلك أبلغ في الاعجاز لان ذلك جار مجرى قوله:(هاتوا برهانكم) وإنما أراد نفي البرهان أصلا والدعاء أراد به الاستعانة "[٧٩].قال الزمخشري : " وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام. وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخذالهم. وأنّ الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثاً غير قولهم: الله يشهد أنا صادقون. وقولهم هذا: تسجيل منهم على أنفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة "[٨٠].وهنا نجده يرجح قول ابن عباس مضعفاً أقوال مجاهد وابن جريح، لأنه وجد في قول ابن عباس هو الاصوب والادق في بيان معنى الآية. اذن نجد من خلال ما تقدم ان الشيخ الطوسي (رحمه الله) قد أخذ بقول الصحابي في تفسير الآيات القرآنية وبجميع موارد التفسير ومنها، القراءات التفسيرية، واسباب النزول، والفقه، واستنباط بعض الأحكام في علم الاصول، وبيان وتوضيح الالفاظ الغريبة في القرآن، بل حتى في بيان المبهمات وتوضيح الصحيح من الروايات الإسرائيلية.وهذا يدل على ما لديه من فكر كبير وعلم غزير استطاع ان يستفاد منه عن طريق الوسطية بين المذاهب الإسلامية مما جعل قول الصحابي الابرز في توضيح الآيات، ولكن هذا الاخذ لم يكن مطلقاً وإنما محدداً، لهذا نجده يرد ويرفض كثيراً من الاقوال والاحاديث لبعدها عن الصواب والصحة. اذن الشيخ الطوسي (رحمه الله) أخذ بقول الصحابي ضمن الأطر والآليات التي وجدها وتميز فيها ودافع عنها لما لديه من خبره وعلوم واسعة بالفقه وعلم الرجال وعلم أصول الدين والتفسير.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين أولاً وأخرا، فقد توصلنا في نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة التي بينت فكر وعلم احد قادة رجال الحوزة العلمية بأقوال الصحابة (رضي الله عنهم) وهذه النتائج هي :

أولاً : بينا أن الشيخ الطوسي هو أول من شيد بناء الحوزة العلمية بالنجف الاشرف ووضع حجرها الاساسي بعد أن هاجر أليها سنة ٤٤٩هـ .

ثانياً : كان الشيخ الطوسي (رحمه الله) ذا مقام علمي كبير فكان مرجعاً للشيعة بلا منافس، (وكل من جاء بعده من العلماء والمفسرين لدى الإمامية وعلى مدار قرن من الزمن كلهم مقلدون له في كل آرائه لا يتخطى رأيه حتى كاد ان ينسد باب الاجتهاد عند الإمامية).

ثالثاً : يعد تفسير (التبيان في تفسير القرآن) من أروع واغنى الكتب التفسيرية، أذ يعكس مدى الاهتمام البالغ من قبل الشيخ بالجانب القرآني، اذ وسم الفقه الشيعي بالطابع القرآني فهو من التفاسير الجامعة بين النقل والعقل، أذ حاز قصب السبق من بين التفاسير التي كانت دارجة لحد ذلك الوقت، اذ كانت اغلبها مختصرات.

رابعاً : وضحنا ان اخذ بقول الصحابي هو من المواضيع الخلافية بين جميع المذاهب الإسلامية بل حتى في نفس المذهب الواحد، فيه من يأخذ والآخر ينكر قولهم حجة.

خامساً : أوجدنا ان الشيخ الطوسي (رحمه الله) وضع شروطاً اساسية لأخذ بقول الصحابي، منها اذا كانت الاقوال صحيحة ومطابقة لما جاء بالقرآن والسنة النبوية وأقوال أهل البيت من غير مخالفة.

سادساً : أوجدنا ان الشيخ الطوسي (رحمه الله) استطاع ان يأتي بمنهج جديد وبخصائص تمثل طابع الشمول، وهي خصائص الاتجاه الوسطي أذ تبناه وطوره من عدة اتجاهات ومنها، تقنين عملية الاستنباط وتدوين القواعد الأصولية، وكذلك تطبيق منهج الاستنباط الفقهي وتبني حجية أخبار الآحاد.

سابعاً : أثبتنا ان الشيخ الطوسي(رحمه الله) تبنى حجية أخبار الآحاد ولكن بشروط والتي ذكرناها قال : (انا لا نقول ان جميع اخبار الاحاد يجوز العمل بها بل لها شرائط) أي أنه لم يأخذ كل أخبار الاحاد وإنما وضع لها شروطاً حتى يتم العمل بها.

ثامناً : بينا ان الشيخ الطوسي (رحمه الله) أوجد آليات يستطيع من خلالها الاخذ بقول الصحابي أو التابعي ومن هذه الآليات، سند الرواية، وتمحيص وتدقيق الرواية، وظاهر اللفظ، وعموم اللفظ.

الهوامش

١- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج١٣/٤٥٠، وينظر طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ج ١٢٦/٤. وينظر الكنى والالقاب للقمي : ج٢/ ٣٥٧.

٢- (وهي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت في أيام عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وبها قبر عليّ بن موسى الرّضا(عليه السلام))، معجم البلدان، للحموي: ج٤/ ٤٩.

٣- ينظر الأعلام للزركلي: ج٦/ ٨٥. وينظر عقيدة الشيعة لرونلدسن: ٢٨٥، وينظر أعيان الشيعة محسن الأمين: ج٩/ ١٥٩.

٤- ينظر نفس المصدر السابق: ج٦/ ٨٥، و ينظر أعيان الشيعة لمحسن الأمين: ج٩/ ١٥٩.

٥- ينظر تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي : ج١٠/ ١٣٢، وينظر طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي: ج٤/ ١٢٧.

٦- اعيان الشيعة، محسن الأمين: ج٩/ ١٥٩. وينظر تاريخ الحوزات العلمية، د. عدنان فرحان: ج٢/ ٢٢٢.

٧- نفس المصدر السابق : ج٩/ ١٥٩.

٨- معجم البلدان، للحموي: ج١/ ٥٣٤، وينظر خطط الشام، محمَّد كُرْد عَلي: ج٦/ ١٨٥.

٩- ينظر طبقات المفسرين، للداودي: ج١٣٠/٢، وينظر عقيدة الشيعة : ٢٨٥، وينظر التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي : ج٢/ ٨٥٠.

١٠- أعيان الشيعة، محسن الأمين : ج٢/ ١٦٠.

١١- تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة، للفياض : ٢٨٩-٢٩٠.

١٢- طبقات المفسرين العشرين، للسيوطي : ٩٤، وينظر اعيان الشيعة، محسن الأمين ج٢/ ١٦٠، وينظر تاريخ الحوزات العلمية، د. عدنان فرحان: ج٣/ ٣٧.

١٣- ينظر الفهرست، للطوسي:٢٤٠-٢٤٢. وينظر سير اعلام النبلاء، للذهبي:ج١٣/٤٥٠، وينظر الاعلام، للزركلي:ج٦/ ٨٥. وينظر أعيان الشيعة، لمحسن الامين: ج١٦١/٩- ١٦٥.

١٤- منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم دراسة لغوية نحوية بلاغية، للزيدي: ١١.

١٥- الفهرست، للطوسي: ٢٣٨. وينظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي : ج٤٧/١٩.

١٦- نفس المصدر : ١٦٤ – ١٦٥. وينظر الوافي بالوفيات، للصفدي : ج٢٠/ ٢٣١.

١٧- ينظر تاريخ الحوزات العلمية، د. عدنان فرحان: ج٣/ ٤٦.

١٨- أمل الآمل، للعاملي : ج٢/ ٦٤، وينظر أعيان الشيعة، لمحسن الامين: ج٢١/ ١٩٧.

١٩- نفس المصدر السابق : ج٢/ ٤٣.

٢٠- خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، للعلامة الحلي : ١٤٨.

٢١- أمل الآمل، للعاملي : ج٢/ ٤٣.

٢٢- نفس المصدر السابق : ج٢/ ٣١٣.

٢٣- تاريخ الحوزات العلمية، د. عدنان فرحان: ج٢/ ٢٣٣.

٢٤- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة : ج٨٥١/٢.

٢٥- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج١/ .

٢٦- التفسير والمفسرون، للذهبي : ج٣ / ٢٧٠.

٢٧- مناهل الغرفان في علوم القرآن، للزرقاني : ج٢ / ١٢.

٢٨- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة: ج٢ / ٥٣٩.

٢٩- المفسرون مناهجهم اتجاهاتهم، للدكتور عامر الكفيشي : ج١/ ١٨٠ – ١٨١.
٣٠- التفسير والمفسرون، للذهبي : ج١ / ١٣٧.
٣١- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج١ / ٣.
٣٢- نفس المصدر السابق : ج١ / ٦.
٣٣- أصول الكافي، للكليني : ج١ / ٦٩.
٣٤- نفس المصدر السابق : ج١/ ٦٩.
٣٥- موسوعة طبقات الفقهاء، للشيخ السبحاني : ج١/٢٤٤.
٣٦- المعتبر، للمحقق الحلي : ج١ / ٢٩.
٣٧- نفس المصدر السابق : ج١ / ٢٩.
٣٨- عدة الأصول، للطوسي : ج١ / ٣٦٠.
٣٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر : ج ١٠ / ٣٣٩.
٤٠- المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) : ج ٤ / ١٩٦٣.
٤١- ينظر أصول السرخسي، للسرخسي : ج٢ / ١٠٦.
٤٢- التفسير والمفسرون، للذهبي : ج ١/ ١٤٠، وينظر المفسرون مناهجهم اتجاهاتهم، للكفيشي: ج١/١٨٦
٤٣- اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، للقاوقجي : ١٣٦.
٤٤- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني : ج٢/ ١٨٨.
٤٥- ينظر الشيخ الطوسي مفسراً، خضير جعفر : ٨.
٤٦- تاريخ الحوزات العلمية، د. عدنان فرحان : ج٢ / ٢٢٤.
٤٧- ينظر تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، د. عدنان فرحان : ٢٦٩.
٤٨- تاريخ الحوزات العلمية، د. عدنان فرحان : ج٢/ ٢٢٧.
٤٩- تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، د. عدنان فرحان : ٢٧١.
٥٠- السرائر، لابن ادريس الحلي : ج١ / ٤٧.
٥١- عدة الاصول، للطوسي : ج١ / ١٣٢ و ٣٤٧.
٥٢- نفس المصدر السابق : ج١ / ١٢٦. وينظر المنهج الأثري في تفسير القرآن، هدى جاسم محمد : ١٧٤.
٥٣- الشيخ الطوسي مفسراً، خضير جعفر : ١٤٩.
٥٤- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج٥ / ٤٩٤.
٥٥- نفس المصدر السابق : ج ٥ / ٤٩٤.
٥٦- تم تخريج هذا المصدر سابقاً برقم هامش (٣٢) المصدر نفسة : ج١ / ٦.
٥٧- نفس المصدر : ج١٠ / ٤١٨. وينظر تفسير القرآن، للسمعاني : ج٦ / ٢٩٢.
٥٨- الشيخ الطوسي مفسراً، خضير جعفر : ١٦٢.
٥٩- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج ٨ / ٥٦١، وينظر المنهج الاثري في تفسير القرآن الكريم، هدى جاسم : ١٨٦.
٦٠- نفس المصدر السابق : ج٨ / ٥٦٢.
٦١- نفس المصدر : ج ٨ / ٥٦٢.
٦٢- لحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، للسنيكي : ٧٨.
٦٣- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج١/ ٤٦١. و ج٦/ ٤١. وينظر الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي : ج٢ / ١٢٠.
٦٤- نفس المصدر السابق : ج٣ / ٩٣، و ج٢ / ٣٥١، و ج١٠ / ٣٩٤. وينظر المنهج الاثري في تفسير القرآن، هدى جاسم : ١٦٩.
٦٥- منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم، د. كاصد الزيدي : ١٠١.

٦٦- نماذج من اقوال ابن مسعود من الممكن الرجوع اليها في تفسير التبيان وهي : ج٥/٣٠٧، و ج٥/٣٠٩، وج٨/٢١٢، وج٩/٢٢٨.

٦٧- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج ١٠ / ٨. وينظر الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي : ج ١٨ / ١٠٢.

٦٨- نماذج من أقوال عبد الله بن عمر من الممكن الرجوع اليها في تفسير التبيان : ج٣/٢٠٨، و ج٥/٣١، و ج٧/٦٥، و ج٨/٥١٧.

٦٩- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج ٣ / ٥٣٧.

٧٠- ينظر التبيان في اعراب القرآن، للكعبري : ج ١ / ٤٣٩.

٧١- نماذج من أقوال أبو سعيد الخدري، من الممكن الرجوع اليها في تفسير التبيان: ج٣/٧٦، و ج٤/١٧٤، و ج٥/٣٣٣،و ج٨/٢٢٨.

٧٢- منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم، د. كاصد الزيدي : ١١٧.

٧٣- ينظر نفس المصدر السابق : ١١٦-١١٧.

٧٤- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج ٨ / ٢٥٣.

٧٥- نماذج من أقوال عمار بن ياسر، من الممكن الرجوع إليها في تفسير التبيان : ج٣/٢٠٨، و ج٣/٥٥٥، و ج٤/٦٢، وج٦/ ٤٢٨.

٧٦- قال الطبري : " والصواب من القول في ذلك: أن الحدّ الذي لا يجزئ المتيمم أن يقصِّر عنه في مسحه بالتراب من يديه: الكفان إلى الزّندين، لإجماع الجميع على أن التقصير عن ذلك غير جائز. ثم هو فيما جاوز ذلك مخيّر، إن شاء بلغ بمسحه المرفقين، وإن شاء الآباط. والعلة التي من أجلها جعلناه مخيرًا فيما جاوز الكفين: أن الله لم يحدَّ في مسح ذلك بالتراب في التيمم حدًّا لا يجوز التقصير عنه. فما مسح المتيمم من يديه أجزأه، إلا ما أُجمع عليه، أو قامت الحجة بأنه لا يجزئه التقصير عنه. وقد أجمع الجميعُ على أن التقصير عن الكفين غير مجزئ، فخرج ذلك بالسنة، وما عدا ذلك فمختلف فيه. وإذا كان مختلفًا فيه، وكان الماسح بكفيه داخلا في عموم الآية، كان خارجًا مما لزمه من فرض ذلك" جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري : ج ٨ / ٤١٩ – ٤٢٠.

٧٧- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج٣ / ٢٠٨.

٧٨- نماذج من أقوال ابن عباس، من الممكن الرجوع اليها في تفسير التبيان: ج٢/٥، و ج٢/٢٥٦، و ج٣/٣٤٣، و ج٥/٧١.

٧٩- التبيان في تفسير القرآن، للطوسي : ج ١/١٠٤. وينظر الشيخ الطوسي مفسراً، خضير جعفر : ١٦٢.

٨٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري : ج١/ ١٠٠، وينظر تفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة : ج١/٧٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني تـ١٢٥٠هـ، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م

٢. أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي تـ٤٨٣هـ، دار المعرفة – بيروت.

٣. اصول الكافي، ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني تـ٣٢٩هـ، ط٢، مطبعة الحيدري طهران ١٩٦١م.

٤. الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي تـ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، ط١٥– ٢٠٠٢م.

٥. أعيان الشيعة ، للسيد محسن الأمين، تحقيق وتخريج حسن الأمين، دار التعارف بيروت لبنان ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٦. أمل الآمل، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: أحمد الحسني، مطبعة الآداب النجف، ط١، ١٣٨٥هـ.

٧. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تـ٧٤٨هـ، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

٨. تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة، د. عبد الله الفياض، مؤسسة الأعلمي – بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

٩. تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الأمامية، د. عدنان فرحان آل قاسم، دار السلام بيروت– لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ– ٢٠١٦م.

١٠. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي تـ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ.

١١. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري تـ٦١٦هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٢. التبيان في تفسير القرآن ، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسين الطوسي تـ٤٦٠هـ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الاعلام الإسلامي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٢٠٩هـ.

١٣. تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، د. عدنان فرحان آل قاسم، دار السلام، بيروت – لبنان ، ط٣، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

١٤. تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله تـ٨٠٣هـ، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م.

١٥. تفسير القرآن، للسمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني تـ٤٨٩هـ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

١٦. التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، ط٢، ١٤٢٦ق-١٣٨٤ش.

١٧. التفسير والمفسرون، د. مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري تـ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٩. الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي تـ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٢٠. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، السنيكي تـ٩٢٦هـ، تحقيق :د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٢١. خطط الشام، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد كُرْد عَلي تـ١٣٧٢هـ، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

٢٢. خلاصة الاقوال في معرفة الرجال، أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهري الشهير بالعلامة الحلي تـ٧٢٦هـ تحقيق وطباعة نشر الفقاهة- قم، ط١، ١٤١٧هـ .

٢٣. السرائر ، ابن ادريس ابو جعفر محمد بن منصور بن ادريس العجلي الحلي تـ٥٩٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ .

٢٤. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تـ٧٤٨هـ ، دار الحديث- القاهر ط ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٥. الشيخ الطوسي مفسراً، خضير جعفر ، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط١، اردیبهشت ١٣٧٨.

٢٦. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي تـ٧٧١هـ، المحقق: د. محمود محمد الطناحي، واخرين، هجر للطباعة، ط٢، ١٤١٣هـ.

٢٧. طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي تـ٩١١هـ، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، ط١٣٩٦،١.

٢٨. طبقات المفسرين، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي تـ٩٤٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١.

٢٩. العدة في أصول الفقه (عدة الأصول)،للشيخ الطوسي تـ٤٦٠هـ، تحقيق: محمد رضا الأنصاري القمي،ط١٤١٧،١، ستاره – قم

٣٠. عقيدة الشيعة، تأليف: دوايت رونلدسن، مؤسسة المفيد للطباعة والنشر بيروت، ط٢ ١٩٩٠م.

٣١. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبن حجر العسقلاني تـ٨٥٢هـ، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.

٣٢. الفهرست، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي تـ٤٦٠هـ، تحقيق الشيخ جواد الفيومي، مطبعة مؤسسة النشر الاسلامية(نشر الفقاهة)، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله تـ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ .

٣٤. الكنى والالقاب، عباس بن محمد القمي، مطبعة العرفان – صيدا سنة ١٣٥٨م.

٣٥. اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع، محمد بن خليل بن إبراهيم، أبو المحاسن القاوقجي الحنفي تـ ١٣٠٥هـ، المحقق: فواز أحمد زمرلي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط١ ، ١٤١٥هـ. .

٣٦. المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري تـ٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٣٧. المعتبر، المحقق الحلي تـ٦٧٦هـ، تحقيق: عدة من الأفاضل، إشراف: ناصر مكارم شيرازي، ١٣٦٤هـ، م-ط. مدرسة الإمام أمير المؤمنين (ع) الناشر : مؤسسة سيد الشهداء (ع) – قم.
٣٨. معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي تـ٦٢٦هـ، دار صادر، بيروت، ط٢،١٩٩٥م.
٣٩. المفسرون مناهجهم اتجاهاتهم، للدكتور عامر الكفيشي، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر، بيروت لبنان- ط١، ٢٠١٨.
٤٠. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني تـ ١٣٦٧هـ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣ .
٤١. المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، هدى جاسم محمد، مكتب الاعلام الاسلامي قم، ط١، ١٣٧٢هـ – ١٩٩٤م.
٤٢. منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم دراسة لغوية نحوية بلاغية، تأليف د. كاصد ياسر الزيدي، بيت الحكمة- بغداد، ط١، ٢٠٠٤م.
٤٣. موسوعة طبقات الفقهاء، للشيخ السبحاني، مؤسسة الإمام الصادق(ع) – قم – ايران، ط١، ١٤١٨، المطبعة : اعتماد – قم.
٤٤. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي تـ٧٦٤هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.